

آلية التّقابل الاصطلاحي في الخطاب الصّوّفي لدى عبد الرحمن
الأخضري(ت983هـ) - منظومة القدسية نموذجاً -
د.محمّد سحواج-جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف-

الملخص : وظف عبد الرحمن الأخضري (ت983هـ) آليات مختلفة من أجل توليد ألفاظ معجمه الصّوّفي وبنائها ؛ ومن بين هذه آليات -آلية التّقابل المصطلحي- حيث جمع عبد الرحمن الأخضري في نص القدسية الألفاظ المتنافرة والمتقابلة ،منها : (النفس والروح)و(الشريعة والحقيقة)و(الظاهر والباطن) ليضفي على نصه أبعاداً دلالية مشبعة بالسمو الروحيّ.

كلمات المفتاح : التّقابل ؛ الاصطلاح ؛ الخطاب الصّوّفي ؛ التّنافر ؛ منظومة.

Abstract : We find Abdal-Rahman al -akhdari(d.983ah) adopting various mechanisms in order to generate and build the terms of his sufi lexicon ;the terms of and abd-al Rahman al -akhdari in the text of Qudsiyah are discordant and opposites terms, including:(the soul and the spirit),(the truth and the rite),(the apparent and the occult) ,his gave him semantic dimensions imbued with spiritual supremacy.

key words: opposite; convention: mystic discours; dissonance;poem.

المقدمة: اعتمد عبد الرحمن الأخضر في بناء جهازه الاصطلاحي في منظومة القدسية وفق آليات متنوعة، وأهمها: آلية -التقابل المصطلحي- . ولذا انفردت منظومة القدسية بعرض مصطلحات الأحوال والمقامات الصوفية، وما يكتنفها من تقابل ثنائي، منها: الظاهر والباطن، والتخلي والتحلي، والحرام والحلال، والعبارة والإشارة، والخوف والرجاء.

1 مفهوم الضد: يرجع مدلول الضد في اللغة إلى الغلبة والخلاف والشبه والندبة والخصام، وإن خرجت إلى معان تقرب من هذا المعنى. وهو مصدر الفعل ضدد يضدد مضادة وتضاد. ويضبط صاحب معجم لسان العرب البيئة، فيقول "الضد كل شيء ضاد شيئاً ليغلبه، والسواد ضدّ البياض والموت ضدّ الحياة، والليل ضدّ النهار إذا جاء هذا ذهب ذلك... ضد الشيء وضديده وضديدته خلافة الأخيرة عن ثعلب، وضده أيضاً مثله ؛ عنه وحدهن والجمع أضدد... وفي التنزيل، يقول الله تعالى: ﴿كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (82) ¹؛ قال الفراء: يكونون عليهم عوناً... والضد مثل الشيء، والضد خلافه- والضد المملوء وقال الجوهري: الضد بالفتح الملء أضدادهم وأندادهم أي أفرانهم... ويقال ضادني فلان إذا خالفك... والند الضد والشبه" ¹.

وأما اصطلاحاً فعرفه أبو هلال العسكري (ت: 395هـ) في كتابه "كتاب الصناعتين" فقال: "... أجمع الناس أن المطابقة في الكلام هو الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من البيوت القصيدة مثل الجمع بن البياض والسواد... والليل والنهار... والحر والبرد...". ¹ فالضد هو الخلاف والتناقض والتنفى.

2-من الثنائيات الضدية للمصطلح الصوفي في منظومة القدسية: جمع عبد

الرحمن الأخضر في منظومة "القدسية" بين الألفاظ المتنافرة والمتقابلة ، ليخلق مؤتلفاً يؤدي إلى السمو الروحي ويكون شاهداً على اتحاد المتقابلين في سيرورة واحدة.

ولذا انفردت منظومة "القدسية" بعرض مصطلحات الأحوال والمقامات الصوفية، وما يكتنفها من تقابل ثنائي، منها: الظاهر والباطن، الجمال والجلال، الشريعة والحقيقة، الروح والنفس، الخوف والرجاء التخلي والتخلي، الحرام والحلال، العبارة والإشارة.

و استخدم عبد الرحمن الأخضر هذه الثنائيات الضدية للمصطلح الصوفي لاستجلاء دلالات ، منها: (روحية وسلوكية).

ومن هذه البنى المتضادة التي وظّفها الأخضر في خطابه الصوفي-القدسية-

هي:

أ-النفس والروح: النفس يطلق على الروح¹، وقيل: "تنفس الرجل وتنفس

الصعداء، وكلّ ذي رئة متنفس ودوابّ الماء لا رئات لها. وتنفس الصبح تبلج...¹، وقيل أيضاً:- "...وتنفس عن أنفيه، وعن سقيه والشّم: ثقب الأنف): فرج

عنه حتى تنفس من منخرية"¹، ومن معاني النفس في الفكر الإسلامي وردت

لفرج، ومنه قول الرسول صل الله عليه وسلم عن -أبي هريرة رضي الله عنه -أن النبي

صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ نَفَسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ

كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ"¹، وجاءت كذلك بمعنى الإشراق والظهور، ومنه قول الله

تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ (18)﴾¹، و-قال أيضاً-الرسول صلى الله عليه وسلم ما

رواه أبو هريرة -رضي الله عنه-: "قالت النار: رَبِّ أَكَلْ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ

نَفْسٌ فِي الشَّتَاءِ وَنَفْسٌ فِي الصَّيْفِ فَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ بَرْدٍ أَوْ زَمَهَرِيرٍ، فَمِنْ نَفْسٍ جَهَنَّمَ، وَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ حَرٍّ أَوْ حَرُورٍ فَمِنْ نَفْسٍ جَهَنَّمَ¹.

فالنفس والروح في الاصطلاح الصوفي وردتا متضادتين في المعنى، ومنه قول القشيري : "وعند القوم : ليس المراد من إطلاق لفظ النفس الوجود، ولا القلب الموضوع، إنما أرادوا بالنفس: ما كان معلولا من أوصاف العبد ومذموما من أخلاقه وأفعاله... ويحتمل أن تكون النفس: لطيفة مودعة في هذا القلب، هي محل الأخلاق المذمومة، كما أن الروح: لطيفة مودعة في هذا القلب هي محل الأخلاق الحمودة... وكون الروح والنفس من الأجسام اللطيفة في الصورة، ككون الملائكة والشياطين بصفة الطاعة..."¹.

ويتوزع هذا النص على حركتين : حركة العلو والتمثلة في الروح وموطنها نوراني وحركة الهبوط، أي نزولها في الجسد وانغماسها في عالم الشهوات وتمثل خطيئة آدم وحواء، مما أدى إلى هبوطهما من العالم المقدس الأبدي إلى العالم الأرضي الفاني¹.

وتتمثل هاتين الحركتين في منظومة القدسيّة على النحو الآت

أ- حركة الهبوط¹ (النفس): وتتحدد مظهراتها فيما يلي:

- | | |
|----------------|-------------------|
| - شهوة | - شهوات |
| - رئاسة | |
| - دعوى | - الدعاوى الكاذبة |
| - نزعة الشيطان | - البلوى |
| - الهوى | - المجاهدة |
| - المرأة | - الصقل |

- تحجب - طرد
- مكروم - سحاب النفس
- ولهذا نجد عبد الرحمن الأخضري يقف على هذه التظاهرات النفسية بقوله:¹
- 10- فَالظَّاهِرُ الْعَوَائِدُ الْجِسْمِيَّةُ
وَالْبَاطِنُ الْعَلَائِقُ النَّفْسِيَّةُ
- 11- مِنْ شَهْوَةٍ وَرِثَاسَةٍ وَدَعْوَى
وَنَزْعَةٍ الشَّيْطَانِ وَهِيَ الْبَلْوَى
- 12- فَأَوَّلُ يُدْعَى حِجَابِ الْحِسِّ
وَالثَّانِي يُدْعَى بِحِجَابِ النَّفْسِ
- 13- فَمَنْ يَكُنْ لِنَفْسِهِ مُكَبِّبًا
عَلَى هَوَاهَا لَمْ يَزَلْ مُحْتَجِبًا
- 14- إِذْ تُحْجَبُ الْمَرْأَةُ بِالصَّدَاءِ
- 15- وَمَنْ أَجَادَ الصَّقْلَ بِالمِجَاهَدَةِ
- 23- حَتَّى إِذَا صَحَتْ سَمَاءُ الْقُدْسِ
بِطَرْدِ مَرْكُومِ سَحَابِ النَّفْسِ
- إنَّ إتياع الشهوات وحب الهوى، كلّها حُجْبٌ تُحْجِبُ القلب عن إدراك نور الحقيقة.
- وهكذا انطلاقاً من تصور العلاقة بين شهوات النفس والحجب، لذا قسمها عبد الرحمن الأخضري إلى نوعين:

أ- حجاب الحس؛ أي الظاهر.

ب- حجاب النفس؛ أي الباطن.

فالمقصود بحجاب الحس هو "قفص البدن، فالنفس الزكية والروح القدسية قبل دخولها في هذا القفص المظلم غير محجوبة عن مشاهدة الله؛ بل كانت المعارف فيها جبليّة، فلما دخلت هذا القفص حجبتها عن ذلك الاتصال المحمود"¹، أما حجاب النفس فهو: "الخطوط النفسانية والتخيّلات الشيطانية والدعوات الواهية"¹.

وفي ذلك أشار بقوله: وباطن في النفس، وقوله: من شهوة، ويستلزم رصد هذه العلاقة بين أدارن النفس والحجابين، أن يحدد أثارها على القلب، وهو إعاقته من الاتصال بالقيم السامية والمعاني العالية.

إنها إشارة للمجاهدة ومخالفة النفس ومنازلة المقامات، وهو الشيء الذي قام به عبد الرحمن الأخضر، ولتحقيق ذلك وظف مصطلحات صوفية ودلالاتها كما استخدمها أهل التحقيق والتّصوف، هي كالاتي:

أ- مرآة القلب: هي عاكسة معنوية تُحجبُ وتصفو حسب موافقة هوى النفس أو مخالفته.

ب- الصّداء: هو غطاء الهوى يحجب عن القلب المشاهدات والإطلاع عن المغيبات.

ت- المجاهدة: هي تطهير النفس من كل مذموم.

ب- حركة العلو¹ (الروح) وتتمظهر في الوحدات اللّغوية الآتية:

- الروحاني.

- العالم العلوي.

- جنس الملك.

- الكمال.

- الحضرة القدسية.

- النور.

هذه التظاهرات الروحية الأخرية تعكس رغبته العميقة في معانقة
المقدس؛ أي العالم المطلق، وفي هذا يقول:¹

3. يَا طَالِيًّا عَلَى كَمَالِ قُدْسِهِ

وَقَاصِدًا إِلَى عِلَاجِ نَفْسِهِ.

4. اَعْلَمْ بِأَنَّ الْجَوْهَرَ الْإِنْسَانِي

هُوَ الَّذِي يَدْعُوهُ الرُّوحَانِي

5. مَنَشَأُهُ فِي الْعَالَمِ الْعُلُويِّ

وَمُودَعٌ فِي الْقَالِبِ الْجِسْمِيِّ

6. لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ مِنْ جِنْسِ الْمَلَكِ

فَصَارَ مَرْكُوزًا فِي عَالَمِ الْخَلْقِ

131- هَلَّا خَدَمْتَ الرُّوحَ يَا مَعْرُورُ

هَيَّهَاتَ قَدْ حُجِبَ عَنْكَ النُّورُ

132- يَا جَاهِلًا بِعَالَمِ الْأَرْوَاحِ

حُجِبَ عَنْكَ الشَّرُّ بِالشَّجَابِ

142- فَالرُّوحُ بَابُ الْحَضَرَةِ الْقُدْسِيَّةِ

تَحْجِبُهُ الْعَلَائِقُ النَّفْسِيَّةُ

ونجد في هذه الأبيات أنّ عبد الرحمن الأخضري يحدد أصل وماهية الروح ، فهي من العالم العلوي؛ أي عالم النور، ومنه خلقت الملائكة ، حيث تستمد منه طبيعته، ثم تستقر في عالم الأجباح¹.

تمكن عبد الرحمن الأخضري من إيصال تجربته الصّوفية بواسطة التقابل الحاصل بين النفس والروح، حيث جعل النفس عنده عنصراً لشرّ ومحلاً للأخلاق المذمومة، والروح محلاً للطهر والنقاء والأخلاق المحمودة عنده.

ويقوم التقابل عنده بين المصطلحين النفس والروح، على أنّ الروح طيبة جوهرها نورانيّ علوي ربّاني، والنفس خبيثة ظلمانية شيطانية¹.

وعند النظر في نص منظومة "القدسية" وانطلاقاً من عملية إحصائية يتبين أن مصطلح النفس أكثر تردداً بالقياس إلى مصطلح "الروح" ، فقد ورد (ست وعشرون مرة) ، الأول من حيث العدد ضعف الثاني، وورد (إحدى عشرة مرة) ذلك إلى قصد عبد الرحمن الأخضري باعتبار الباطن ما يتشكل به الظاهر تشكلاً صحيحاً، فهو دائماً ينفذ من ظاهر الأشياء إلى باطنها¹، مستنداً هنا إلى هذا القول "المدار على النفس"^{1*}؛ بل يعدّ عنده قاعدة تستند في ذلك إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية^{**} التي تستنبط منها صفات النفس التالية:

الصفات الموجبة	الصفات السالبة
أ- نفس لوامة	ب- نفس أمارة بالسوء
ت- نفس مطمئنة	ث- نفس الهوى والشهوات
ج- نفس راضية	ح- نفس عاصية
خ- نفس زكية	د- نفس أنانية
ذ- نفس طاهرة	

ر- نفس غنيّة	
ز- نفس طيّبة	

وبذلك تكون النفس عند الأخضري محل الرياضة الصّوفية؛ وهذا ما سماه أبو حامد الغزالي "رياضة النفس"¹، وتكون أيضا محلا للذم والمدح¹. فالنفس عنده تحتاج إلى الرياضة لتطويع النفس الأمارّة* للنفس المطمئنة^{1**}، لأنّ النفس إذا اعتادت اللذات لا تنصرف إلى الطاعات إلّا بالمجاهدات وقهر هواها، فتطهر من كل مدموم، وترجع لأصلها في الحضرة الطاهرة¹.

2ب - الشريعة والحقيقة:

تقابل الشريعة الحقيقة في الاصطلاح الصّوفي، وهذا ما يقرّبه القشيري، إذ يقول "الشريعة أمر بالتزام العبودية، والحقيقة مشاهدة الربوبية، فالشريعة جاءت بتكليف الخلق والحقيقة إنباء عن تصريف الحق. فالشريعة أن تعبده، والحقيقة أن تشهده والشريعة قيام بما أمر والحقيقة شهود لما قضى وقدر، وأخفى وأظهر. فالشريعة هي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ والحقيقة هي قوله تعالى: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (5)"¹ [سورة الفاتحة، الآيتان: 01-02].

استطاع القشيري في هذا النص أن يوازن بين مصطلحي الشريعة والحقيقة وهذا هو ما يظهر في هذا :

الشريعة	الحقيقة
---------	---------

س- ركن الإسلام.	ط- ركن الإحسان.
ش- الجانب العملي.	ظ- الجانب الروحي القلبي.
ص- الأعمال الظاهرة.	ع- الأعمال الباطنة.
ض- المناسك والمعاملات والأموال	غ- المقامات العرفانية والأحوال
التعبدية.	والأذواق الوجدانية.

يقول عبد الرحمن الأخصري في منظومة القدسية:¹

263- وَذِكْرُ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْبَصَائِرِ

يُوزَنُ الثَّلَاثَةُ الدَّوَائِرِ

264- دَائِرَةُ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ

فَوَقَّهُمَا دَائِرَةُ الْإِحْسَانِ

يتجلى لنا من هذين البيتين أن مصطلحي الشريعة والحقيقة وردا على النحو

الآتي:

- دائرة الإسلام: هي الجانب العملي؛ من عبادات ومعاملات، وقد اصطلح على تسميتها بالشريعة، من اختصاص علم الفقه¹.

- دائرة الإحسان: وهي الجانب الروحي القلبي؛ وهو "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"*** - من مقامات عرفانية وأحوال وأذواق وجدانية، وقد اصطلح على تسميتها بالحقيقة، من اختصاص علم التصوف. وفي هذا المعنى يقول أحمد زروق (ت: 899هـ): "فلا تصوف إلا بفقه إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلاّ منه. ولا فقه إلاّ بتصوف، إذ لا عمل إلاّ بصدق وتوجه"¹ ويقول أيضا: "حكم الفقه عامر

في العموم، لأن مقصده إقامة رسم الدين ورفع مناره ، وإظهار كلمته. وحكم التصوف حاصل في الخصوص، لأنه معاملة بين العبد وربّه، من غير زائد على ذلك"1.

ويعلق السعيد الورثاني(ت:1193هـ) على الأبيات السابقة بقوله:"فمنصب الإيمان والإسلام على القلب والجوارح الظاهرة، وأما الإحسان فبالروح، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تراه فإنه يراك. وحينئذ منصب الإحسان الروح؛ والروح لطيفة مودعة نوارنية ربانية فهي محلا للمحبة والمشاهدات وحصول الإنس بالله والقرب منه"1.

فالإسلام والإيمان يمثلان علم الظاهر الشريعة، أما الإحسان فهو علم الباطن للحقيقة.

2ج- الظاهر والباطن:

نعتقد لهذه الثنائية الضدية جدولا يوضح فيه قائمة تشكل في مجموعها معجما، تتقابل فيه الألفاظ تقابلا ضدياً مع الإشارة إلى علاقة المشابهة بينهما.

الظاهر	الباطن	علاقة المشابهة	رقم البيت منظومة الق
عوائد جسمية	علائق نفسية	الفصل والتمييز	10
شهوة ورئاسة	نزعة الشيطان	الفصل والتمييز	11
حجاب الحس	حجاب النفس	المنعة والحجز	12
مرآة	مرآة القلب	الصقل "الانعكاس الاتصالي"	15، 14

18، 23	الإحياء "الحب والطرب"	الأحوال التي تنتج المعارف	السحاب
26	الضم والجمع	المقام الجامع	حدائق
30	الانكشاف	موطن التجلي والمناجاة الإلهية	إرعاد الرعود
30	الطهارة والإحياء	المعارف والعلوم الربانية الأقدسية	انسكاب المعصرات
5، 24، 31، 211	الكشف الصوفي	الاسم الظاهر	الشمس
70، 02، 01، 200	ديني قرآني حديثي	مقام الرفعة والعلو	محمد صلى الله عليه وسلم
16، 239	الطهارة والصفاء الروحانيين الصوفيين	التجلي	القلب
204	الهوائية	عالم الأنفاس	ريح الصبا
204	الهوائية	نسيم روح المعارف جانب الكشف والتجلي	ريح الصبا
39، 33	الهوائية	الأنفاس الشوقية	الريح
91، 135	الجريان	سبيل المعارف في قلوب العباد	البحر
21، 165، 331	الإحياء	أودية المعارف	البكاء (الدموع)

165	الغواية والزلل الصوفي	خاطر	إبليس
243	عدم الرؤية والسير والكشف الصوفي	حجاب الغيب وحال المشاهدة	الليل والنهار
212	الإحياء	مقام المناجاة	كنوس
40، 330	الفراغ والخلاء	مقام التجريد	البيداء
332	مكانية	المقامات ومحال الرياضيات والمجاهدات	الطلل ورسوم الدار
43، 40	الكثرة والتنوع	الخلق	الأزهار
16، 110	الجنى الثمار والظلال	الإيمان الكامل	الشجرة
89، 117	الكشف والرؤية والمشاهدة	مقام صعقة التجلي	جبل الطور

تنغمس اللغة عند عبد الرحمن الأخضر في قاموس الطبيعة مع دلالاتها لتضفي بعداً صوفيّاً على النصّ، وقد تجلّت معانيها فيما استوحاه من معجم الطبيعة كما هي مترسمة في نص القدسيّة (من الشجرة والأزهار والحدائق والبيداء والشمس والطور والسحاب وريح والرعد والمعصرات والبحر) .

وكل هذه ألفاظ طبيعية مضمرة المعاني؛ فمثلاً لفظ "الشمس"؛ نورها يدل على حال الكشف الصوفي، لينسجم هذا المعنى مع السياق الباطني للمنظومة.

إنّ مرونة الاستبطان عند عبد الرحمن الأخضر، على هذا النحو، تفتح أمام المتلقي آفاقاً رحبة تكشف عن طبقات المعاني المختزلة في المحسوس والمقروء، وتدفعه لأن يكون فاعلاً في النصّ من خلق لغة داخل لغة، وليس شرطاً أن تدور في فلك

التَّجربة الصَّوفية ولكن فما تقدمه هذه التَّجربة من آليات الاستبطان، وفي كيفية العثور على اللُّغة المضمرّة والمستكنّة في الكلمات والأشياء والصور¹.

لم يتتعد عبد الرحمن الأخضر في هذه الزاوية "كثيراً عن آلية البيان العربيّ . المتمثلة في إيراد المعنى بطرق مختلفة، ولا يعني هذا الكلام أنّه نسخ أو قلد هذه الطرق، وإنّما أدرك البنية الدّاخلية التي تَرَكَّبُ التَّشبيه والمجاز، والاستعارة، والكناية ولا أحسبه كان معنيّاً بطريقة الدال والمدلول، بقدر ما كان معنياً بإدراك العلاقة التي تربط بينهما..."¹.

ولعل هي إحدى الوسائل الدّلالية في منظومة القدسية "مستخلصة من إدراك عبد الرحمن الأخضر لآلية الكناية الموضوعية أساساً من أجل إيراد معنى غير أصلي، مع عدم الممانعة من إيراد المعنى الأصلي"¹؛ ومثال ذلك كلمة "الواد المقدس" فهو كناية عن حل القرب والإبصار النور حين تجلّى الحق في ذلك الوادي¹، وكذلك كلمة "الشجرة" عند الأخضر في كناية عن الإيمان الكامل¹ وهذان المعنيين من القرآن الكريم: المعنى الصوفي الأول من سورة طه الآية: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (12)¹ والمعنى الصوفي الثاني من سورة إبراهيم، الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (24)¹، يقول الله تعالى مثلاً: "كلمة طيبة، كشجرة طيبة" والعلاقة بين الشجرة والإيمان الكامل، وهي علاقة جني الثمار والظلال الوارفة، وصاحب الإيمان الكامل يجني منه ثماراً وظلالاً، ومنها: القرب إلى الله، والمعرفة والعلم والتوحيد والتفريد والتَّجريد، وغيرها من المقامات العرفانية والأحوال والأذواق الوجدانية.

وهكذا انطلاقاً من العلاقة بين الكناية والمعاني الصّوفية عند عبد الرحمن الأخصري، يستلزم منا تعريف الكناية وهي: "ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك"¹.

فالكنائيات تشكل الحجب الشفافة التي تدرك الحقائق من خلفها أو وسائط التعبير التي تجسد المجرد وتشخصه عن طريق مواد الحس، لتمكن من معرفته أو معاناته، فتحقق الجمع والتفاعل بين الظاهر والباطن حيث يعدّ الأول نقطة العبور الأولى في الرحلة الصّوفية من مقام إلى مقام الحس إلى مقام الكشف والمشاهدة¹. وتأسيساً على ما سبق، تمّ البحث عن الكناية في نص منظومة القدسيّة على سبيل الاستشهاد، فتوصلنا إلى الجدول الآتي:

البيت من القدسيّة	نوع العلاقة	الدلالة الصّوفيّة ¹	رقم البيت
1- وَأَنْعَرَسَتْ فِي وَسْطِ الْجَنَانِ شَجَرَةٌ تَرْوِقُ كُلَّ جَانٍ	كناية	كناية عن الإيمان الكامل	110
1- إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوَى فَيَكْتَسِي مِنْ حُلُلِ النُّورِ قُوَى	كناية	كناية عن محلّ القرب وإبصار النور	117
2- لَوْ عُصَّتْ فِي بَحْرِكَ يَا مَعْرُورًا وَجَدْتَ فِيهِ لَوْلُؤًا مَنْثُورًا	كناية	كناية عن المعارف الإلهية واللطائف الربانيّة	135

147	كناية عن المقامات	كناية	4- هَيْهَاتَ أَنْ يَطَا الْبِسَاطُ الْأَحْمَقُ كَيْفَ يَنَالُ السِّرَّ مَنْ لَا يُصَدِّقُ
152	كناية عن المتوجهين إلى الله تعالى وقاصدين منازل القرب	كناية (1)	5- مَا حَلَّ وَفَدُ الرَّاصِدِينَ مَرَّصَدًا وَرَامَ حَزْبُ الْوَارِدِينَ مَوْرِدًا
152	كناية عن المقامات والمراتب العليا	كناية (2)	
220	كناية عن المقامات والمراتب العليا	كناية	6- فَاشْدُدْ إِزَارَ الْحَزْمِ وَ الْمِجَاهَدَةِ عَسَاكَ تَرْقُ مِنْبَرُ الْمِشَاهَدَةِ
224	كناية عن الغاية في الحضور	كناية	7- وَالصَّدِّقُ وَالْإِخْلَاصُ فِي الْأُمُورِ شَرْطُ بِهِ يَكُونُ قَدْخُ النُّورِ
246	كناية عن اشتعال نور النفس	كناية	8- فَاخْلَعْ نِعَالَ الْكَوْنِ جُمْلَةً وَجِي عَلَى طُولِ الْمُنَاجَاةِ نَجِي

289	كناية عن قوة المشاهدة	كناية	9- حَتَّى يَحِلَّ بِسَنَامِ الطُّورِ فينتهي لحظه في النور
302	كناية عن مهوات المعاصي	كناية	10- قَدْ أَشْرَفُوا عَلَى كُھُوفِ الكُفْرِ وَسَتَرُوا بِدَعَتِهِمْ بِالْفَقْرِ

ما يلحظ من هذا الجدول أنّ عبد الرحمن الأخضري وظف الكناية في خطابه الصوّفي لأتمها وسيلة من وسائل توليد الدلالة، وأقربها إلى نفس المتلقى، وهي تقتضي أساليب التلميح، "والتي لا يقوى عليها إلا كل بليغ متمرس بفن القول. وما من شك في أن الكناية أبلغ من إفصاح والتعريف وأوقع في النفس من التصريح"¹ من أجل إضفاء عليه أبعادًا دلالية مشبعة بالفيض الصوّفي¹.

فالكناية التي وظفها عبد الرحمن الأخضري أضفت على الخطاب أبعادًا دلالية مشبعة بالفيض الصوّفي¹، وهي :

1- التدرج في المعاني من الظاهر إلى الباطن .

2- تجاوز الدلالات العرفية و بناء الدلالات الخاصة، حيث يتحد فيها الدال والمدلول.

3- أسهمت في تعدد مستويات المعنى للتعبير الصوّفي لدى عبد الرحمن الأخضري.

وضع عبد الرحمن الأخضري يده على علاقة (الكناية). واستخدمها في القدسيّة، لتقريب المعنى الصوّفي من المتلقى، ولربط الدال والمدلول؛ أي بين الظاهر والباطن.

الخاتمة :

فالتقابل الاصطلاحيّ الدّّي وظفه عبد الرحمن الأخصريّ في خطاب منظومة –
القدسية- أضفى عليه أبعادا دلالية مفعمة بالفيض الصّوّفيّ.

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. - صحيح البخاري، لأبي محمد بن إسماعيل بن إبراهيم
البخاري(ت:256هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن الجوزي، ط:01، القاهرة-
مصر، 2010.

2. مسند الصحيح المختصر(صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري
النيسابوري (ت:261هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الأحياء التراث
العربي، بيروت- لبنان، ج:04.

3. ديوان عبد الرحمن الأخصري (ت:981هـ) (منظومة القدسية)، تح: عبد الرحمن
تبرماسين، منشورات أهل القلم، ط:01، الجزائر2009.

4. إحياء علوم الدين ، لأبي حامد الغزّالي(ت:505هـ) ، منشورات محمد علي
بيضون دار الكتب العلمية، ط:01، بيروت -لبنان 2004، (مجلد واحد من 01
إلى 05).

5. أدبية النّص الصوفي بين الإبلاغ التّفعي والإبداع الفّيّ، محمد زايد، عالم الكتب
الحديث ط:01، أريد- الأردن، 2011.

6. الخطاب الصوّفي وآليات التحول قراءة في الشّعر المغاربي المعاصر دراسة، عبد الحميد هيمة، موفم للنشر ، الجزائر، 2008.
7. رسائل الشيخ محمد الحراق في التصوف، محمد رشيد لكديرة، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ط: 01، 2012.
8. الرسالة القشيرية، أبو القاسم عبد الكريم القشيري (ت: 465هـ)، تح: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، ج: 01.
9. الشعر الصوّفي بين مفهومي الانفصال والتوحد، وفيق سليطين، دار الرأي للنشر والتوزيع دمشق-سورية، 2007.
10. الصّوفية والتّوريالية ، ادونيس (علي أحمد سعيد)، دار السّاقى، ط: 02، بيروت-لبنان 1995.
11. علم البيان، عبد العزيز العتيق، دار النهضة ، بيروت، 1985،
12. قواعد التصوف، أبو العباس أحمد زروق (ت: 899هـ)، تح: محمد زهري النجار، الناشر المكتبة الأزهرية التراثية، ط: 01، القاهرة.
13. كتاب التعريفات ، الشريف الجرجاني (ت: 816هـ)، دار إحياء التراث العربي ط: 01 بيروت-لبنان، 2003.
14. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري (ت: 395هـ)، تح: محمد أمين الخانجي، مطبعة محمود بك الكامنة في جادة أبي السعود، ط: 01،

بالأستاذة العلية، 1 الكواكب العرفانية وشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية، محمد السعيد الورتلاني (ت: 1193هـ)، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، دار الخلدونية، الجزائر، 2012.

15. الكواكب العرفانية وشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية، محمد السعيد الورتلاني (ت: 1193هـ)، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، دار الخلدونية، الجزائر، 2012.

16. لسان العرب، ابن منظور (ت: 711هـ)، دار صادر للطباعة والنشر، ط: 01 بيروت - لبنان، 1990، ج: 01-04.

17. مختار الصحاح، أبو بكر الرازي (ت: 666هـ)، تح: محمود خاطر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت - لبنان، 2001.

18. معجم محمد شاکر، منذر محمد سعيد أبو شعر، المكتب الإسلامي، ط: 02، بيروت، 2007.

19. مفتاح العلوم، محمد بن علي السكاكي (ت: 626هـ)، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط. 02، بيروت - لبنان، 1987.

20. حقائق عن التصوف لسيد الشیخ عبد القادر عیسی رحمه الله.